وهنا يمكن أن نخلص كلمة « المناسبة » من صورتها القبيحة التى لحقت بها نقديا فى إطار الهجوم على الشعراء ، لتأخذ دلالة محدَّدة يمثلها ذلك الحدث الجلل الذى ينطلق الشاعر إزاءه معبرا عن انفعاله وعنه فى تفاعل صادق معه ، مما يجعل كل تجربة نجح الشاعر فى تصويرها هى مناسبة من مناسبات إبداعه بما لا يستوجب إغفالها أو التغاضى عن قيمتها .

ومن هنا تتبلور بين أيدى الدارس ثلاثة من مقومات النص ، باعتبار النص ذاته واحداً منها ، ثم باعتبار اللغة الجدلية التى يمكن أن تحكم مبدعه وموضوعه فى تفاعلها من خلال مؤثرات معينة ، تجعل المبدع يقدم على انتقاء شريحة ما من بين مئات الشرائح لتكون موضوعاً لعمله ، وهذه هى منطقة التأثر التى تتدخل فيها حواسه ، وتقتحمها ملكة خياله ، وتظهر فيها مواد الصياغة الجمالية لديه . فإذا ما بدأ التفاعل مع ما اختاره من أرض الواقع راح يؤثر فيه بإخراجه على مستويين اثنين :

الأول : المستوى الإنسانى العام الذى يخلع فيه مشاعره وانفعالاته على موضوعه ، فيقدمه للقارئ الذى ينفعل بدوره معه ، ويشترك معه فى خوض التجربة ، وعندئذ ينجح فى تجاوز مشكلة التوصيل التى تعد ركيزة كبرى من ركائز نجاح العمل وصدق صاحبه .

والثانى : المستوى الجمالى وهو الذى تصبح فيه اللغة طوعا لملكات الشاعر وانفعالاته، يتعامل مع سياقاتها المجازية والرمزية بما يكفى لتصوير تجاربه ، وعرض قدراته ، فهو يجمع بين عقله وشعوره معا بما تستوعبه الصياغة الفنية ، ويحكيه أسلوب المعالجة.

وينتهى بنا التأريخ للنص - بهذا الشكل - إلى الاقتراب من كل علاقاته الخارجية التى تشده إلى ظروفه التاريخية ، وكذا ظروف صاحبه ، مما يسهم فى إدراجه ضمن تيار أدبى عام ، أو اعتباره ظاهرة شاعت فشغلت الحركة الفكرية ، أو بما ينبئ عن تميُّزه وتفرده ، أو تجاوزه لغيره من النصوص ، بل لعلها تشير إلى إمكان تأثيره بعد ذلك فيما تلاه من أعمال فى العصور التالية له ، خاصة تلك التى استوحت منه، إذا كان ثمة ما يشى بذلك من نصوص متأخرة سُبقت به ، وأفاد منه مبدعوها .

وربما بقيت لدينا فائدة أخرى من تتبُّع هذا التأريخ حين نأخذ منه مادة توثيقية أو إضافية مؤكدة ، خاصة إذا ما تعلق الموقف بحدث عظيم ، أو موقف متميز على غرار ما تحكيه مثلا حماسات الشعراء حول الحروب - بشكل عام - أو معارك العرب مع الأمم